تقارير إستخباراتية أمريكية: العراق معركة أمريكا الخاسرة ؟

22-2-2005

وبدا الفارق بين تقديرات وكالة المخابرات الأمريكية حول الواقع العراقي وبين ما يسوق له الرئيس بوش ضخما إلى درجة بدت فيها وكالة المخابرات في حرب ضد الرئيس بوش، واعترف أحد الخبراء الأمنيين بأن هناك بالفعل حربا تدور رحاها على العراق الآن ليس بين وكالة المخابرات والبيت الأبيض فحسب، وإنما بين البيت الأبيض والجيش والخارجية الأمريكية بحسب تقرير البوست

بقلم أميمة عبداللطيف

في كل يوم تأتي فيه أخبار الموت العراقي ما بين اختطافات وقطع رؤوس وتفجيرات وفوضى لم تشهد العراق لها مثيلا في تاريخها الحديث، تأخذ طريقها لتترجم إلى تقارير أمنية بشأن الوضع المتدهور في الداخل العراقي. أحدث هذه التقارير أصدرته مجموعة من الوكالات الأمنية الأمريكية بالأمس وأشارت إليه يومية "واشنطن بوست" في مقال عنونته "تزايد التشاؤم حيال الوضع في العراق". يكشف المقال عن أن ثمة شعورا بالتشاؤم الشديد يسود أوساط الخبراء الأمنيين الأمريكيين حيال ما يحدث في العراق، وأن هؤلاء الخبراء يرون بأن هناك فجوة كبيرة بين ما يعلنه مسئولو إدارة الرئيس بوش للرأي العام وبين ما يجري على أرض الواقع في العراق وأن تحقيق النجاح في العراق يكاد يكون مستحيلا.

هذا هو تقييم مجموعة من مسئولي المخابرات ومسئولين حكوميين وخبراء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وكذا خبراء وزارات الدفاع والخارجية. وقد جاء هذا التقييم نتيجة لدراسة استغرقت عاما لمتابعة تطورات الشأن العراقي. إحدى

أهم نتائج هذه الدراسة أن هناك إجماعا داخل دوائر النخبة الأمريكية بأنه في الوقت الذي يرسل فيه الرئيس الأمريكي ووزير دفاعه رسائل إيجابية للرأي العام حيال ما يحدث في العراق، فإن المسئولين الأمريكيين في الجيش الأمريكي الذين انخرطوا في محاربة المقاومة العراقية ثم قاموا بدراستها في وكالة المخابرات الأمريكية ووزارة الخارجية وداخل أوساط الجيش الأمريكي قد اكتشفوا أن المقاومة العراقية أو حركات "التمرد" العراقية كما وصفوها هي أعمق وأكثر إنتشارا مما هو معترف به علنيا.

ويعترف أحد ضباط المخابرات السابقين بأن هناك "غضب شديد" داخل أروقة وكالة المخابرات الأمريكية بسبب السياسة الأمريكية في العراق، فهي سياسة "كارثية وسوف تقود إلى مأزق كبير"، وبحسب مصدر مخابراتي آخر ليس هناك ثمة مخرج، وأن كل ما يجب أن نأمل أن يتحقق هو دولة نصف فاشلة تحارب الإرهابيين وسلسلة من الحكومات الضعيفة، فالأمور بالطبع لا تسير إلى تحسن. وفي شهادة لضابط سابق في الجيش الأمريكي عائد لتوه من العراق "بأن ثمة أشياء يصعب تصديقها تحدث الأن ومنها أن هناك أختراقات للمنطقة الخضراء أدت لتعرضها لهجومات متواصلة وهذا الأمر ماكان ليحدث من عام مضي".

وربما المسئول الوحيد الذي خرج عن إجماع الإدارة هو وزير الخارجية كولين باول الذي اعترف في تصريحات صحفية بأن "التمرد في العراق يزداد قوة".

هذه النتيجة، بأن ثمة مأزقا أمريكيا في العراق، لم يكشف عنها تصريحات ضباط مخابرات سابقين وحاليين، وإنما يدعمها تقرير صدر قبل أيام من قبل مجلس المخابرات القومي الذي أصدر

دراسة أتمها في يولية الماضي يقييم فيها السياسة الأمريكية في العراق ويخلص إلى نتيجة مؤداها أن هناك واقعا مختلفا ومأساويا بعكس ما يقدم في الآلة الدعائية لإدارة الرئيس بوش. واعتبرت الدراسة أنه في أفضل الظروف وحسب أحسن السيناريوهات المفترضة، فإن ما ينتظر العراق هو "إستقرار مهزوز" خلال الثمانية عشر شهر القادمة، وفي أسوأ الظروف سوف تقع البلاد رهينة حرب أهلية.

هذه النتيجة توصلت إليها تقارير إستخباراتية سابقة إحداها صدر في أواخر 2003، وهذا رغم محاولات إدارة الرئيس بوش التقليل من أهمية هذه التقارير إلى حد أن بوش نفسه وصف إحداها بأنه لا يخرج عن كونه "مجرد تخمينات". وبدا الفارق بين تقديرات وكالة المخابرات الأمريكية حول الواقع العراقي وبين ما يسوق له الرئيس بوش ضخما إلى حد دفع بأحد المعلقين الصحفيين روبرت نوفاك الذي يعد أحد أعمدة حركة المحافظين إلى القول بأن وكالة المخابرات في حرب ضد الرئيس بوش، ولكن أحد الخبراء الأمنيين اعترف بأن هناك بالفعل حربا تدور رحاها على العراق الآن ليس بين وكالة المخابرات والبيت الأبيض فحسب، وإنما بين البيت الأبيض والجيش والخارجية الأمريكية بحسب تقرير البوست. ويقول ستيفن ميتز رئيس قسم التخطيط والأستراتيجية الإقليمية في الكلية العسكرية الأمريكية بأن العراق أصبح موضوعا شديد التأثير وأن هذا بسبب قوة القومية العراقية.

ووفق أحد التقارير الذي أصدرته إحدى شركات الأمن الخاصة ذات الصلة الوثيقة بالمخابرات العسكرية وهي شركة مجموعة إدارة الإستشارات الأمنية والعمليات الخاصة، وهي شركة أمن خاصة موجودة في لاس فيجاس وتقوم بتحليل المعلومات كجزء

من عملياتها في العراق، تم إحصاء عدد الهجمات التي وقعت خلال الشهر الماضي فقط، حيث وصلت إلى 2300 هجوم ضد أهداف مدنية وعسكرية وأن هذه الهجمات قد غطت أنحاء العراق. وقد خلص التقرير إلى أن يد المقاومة العراقية قد غطت معظم المدن العراقية، وبالتالي يدحض هذا النظرية القائلة بأن المقاومة غير موجودة إلا في جيوب معزولة. ويقول أحد الخبراء الأمنيين بالشركة إنه بينما تراوحت الهجمات صعودا وهبوطا، فإنها بلغت أوجها في أبريل الماضي لتصل إلى 120 هجمة في اليوم بينما الآن خفتت إلى 80 هجمة يوميا. وفي تقرير لمعهد بروكينجز يقول إن عدد المقاومين وصل إلي خمسة آلاف ومرشح للزيادة. ولكن بحسب أحد العسكريين الأمريكيين فإن الموقف متعادل الآن بين المقاومة العراقية وجيش الإحتلال الأمريكي، فهي علي حد قوله "لم تلحق بنا أي خسائر تكتيكية ولم نخسر أي معركة والمتمردين العراقيين لم يحققوا أية إنتصارات تكتيكية ولم يفوزوا بأي معركة"، ويعترف العسكري الأمريكي بـ "إننا في وقت حرج للغاية والوقت الوحيد الذي سنخسر فيه هذه المعركة هو حين يقرر الشعب الأمريكي أنه لا يريد أن يستمر في الحرب".

ورغم كل هذه التقارير والتحذيرات التي لم تصدرها جهة عربية حتي لا تتهم بكونها تبالغ في تصوير الأوضاع السيئ أو ربما تتوهم مأزقا أمريكيا في العراق غير موجود، رغم هذه التقارير الأمريكية يجد رئيس الوزراء العراقي إياد علاوي والرئيس الأمريكي الجرأة لأن يواجهوا الشعب العراقي برسم سيناريو وردي للموقف الأمني في العراق، حتى إن علاوي في إطار لعبه الأدوار لدعم بوش انتخابيا قال في المؤتمر الصحفي الذي عقده بالبيت الأبيض إن هناك 14 أو 15 إقليما من أصل 18 إقليم في

العراق يقع تحت السيطرة الكاملة للحكومة العراقية، وإنه لا يوجد سوى ما أسماه بـ"جيوب للإرهابيين".
لم يكن مستغربا في ظل هذه التقارير التي أصدرتها مجموعة من الخبراء العسكريين الأمريكيين غير المسيسين أن تبدأ أصوات في أمريكا تلوح بالسؤال الأساسي "ماذا لو انسحبت أمريكا من العراق"، كما تساءل روجر كوهين في مقال بصحيفة "نيويورك تايمز" هذا الأسبوع ويستعرض فيه النظريات المؤيدة للانسحاب الأمريكي من العراق والنظريات المضادة. ولكنه يخلص إلى أن أولئك الذي ينادون بالبقاء في العراق يزيدون الوضع تعقيدا لأن العداء لأمريكا بالعراق وصل لمستويات غير مسبوقة، وحتى أولئك الذي يعتبرون حلفاء لأمريكا فإن مستقبلهم السياسي غير مضمون، كما أن الشعب العراقي يبدو متماهيا تماما مع المقاومة العراقية حتى لكأنه من الصعب معرفة ما إذا كانت الشرطة والجيش العراقي الذي درب لمحاربتها ليس هو المقاومة ذاتها. وتبدو أمريكا في مأزق لأنه حتي الدول الإسلامية الحليفة ترفض إرسال قوات للعراق.
ويختتم كوهين مقاله بإشارة إلى تصريحات خاصة لمن وصفه بأنه وزير خارجية دولة أوروبية ذات علاقة وثيقة مع أمريكا ورفض الكشف عن اسمه حفاظا على طبيعة العلاقة بين دولته وأمريكا، حيث قال بأن علي الولايات المتحدة أن تعيد النظر في نهجها في الحرب على "الإرهاب"، وأن تبدأ نهجا من ثلاث خطوات أولها وضع جدول زمني للإنسحاب من العراق والإهتمام بتسوية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ومحاولة التوصل لتسوية مع إيران بشأن برنامجها النووي. واعتبر وزير خارجية الدولة الأوروبية الحليفة لأمريكا بأن "العراق كان المعركة الخاطئة وهو معركة خاسرة".